أُسُس الشخصية الوطنية، لدى المؤرّخ أبو القاسم سعد الله

Les fondements de l'identité nationale selon Abou Al-kacem SAADALLAH

د. فاتح باهي*
جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي
مخبر بحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر
bahi-fateh@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/13 تاريخ القبول 2024/05/05 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص:

حَظِيَتْ مسألة الشخصية الوطنية باهتمام بالغٍ من طرف الباحثين والدارسين والمؤرخين الجزائريين، الذين أرادوا بيان ماهيتها والتعرّف على أسسها ومنطلقاتها، وتجلّى ذلك خاصة في الفترة التي أعقبت نيل البلاد حريّتها، وخروج المستعمر الفرنسي من البلاد، وهو الذي حاول جاهدا القضاء على الشخصية والهوية الجزائرية، عن طريق تنفيذ جملة من المخطّطات والأساليب المختلفة خلال الحقبة الاستعمارية، ومن الذين تصدّوا لعمليات التشويه والطمس المؤرّخ أبو القاسم سعد الله، حيث كتب جملة من المقالات والأبحاث المركّزة لأجل الوقوف على الأسس التي بُنيت عليها الشخصية والهوية الجزائرية، في الفترة الحديثة والمعاصرة، مع بيان الفروق بين الآراء والنظريات المختلفة التي فسّرت تلك الأسس والمنطلقات، من وجهات نظرٍ مختلفة.

الكلمات المفتاحية: أُسُس الهوية؛ الجزائر؛ وعي التاريخ؛ الأمة العربية؛ الشخصية الجزائرية.

* المؤلف المراسل

Résumé :
La question d'identité nationale a reçu une grande attention de la part des chercheurs, universitaires et historiens algériens, qui ont souhaité en clarifier la nature et en connaître les fondements et les points de départ. Cela était particulièrement évident dans la période qui a suivi la libération du pays et le départ des colonisateurs français du pays, qui se sont efforcés d'éliminer la personnalité et l'identité algériennes, en mettant en œuvre un certain nombre de plans et de méthodes différents au cours de l'ère coloniale. Parmi ceux qui ont été confrontés aux processus de distorsion et d'effacement, il y a l'historien Abou Al-kacem Saadallah, qui a écrit de nombreux articles et axé ses recherches afin d'établir les fondements sur lesquels se sont construites la personnalité et l'identité algériennes. Dans la période moderne et contemporaine, avec une explication des différences entre les différentes opinions et théories qui expliquent ces fondements et points de départ, depuis différents points de vue.

Mots-clés : fondements de l'identité ; Algérie ; conscience de l'histoire ; la nation arabe ; personnalité algérienne ;

مقدّمة:

يُعتبر المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله من أشهر المؤرّخين الجزائريين في الفترة المعاصرة، إذْ قدّمَ للجزائر وللعالم العربي والإسلامي دراسات ومؤلفات عديدة تميّزت بالعمق والجديّة، من حيث مستوى الطّرح، ورصانة التحليل التاريخي التي تطرّق لها بالبحث والدراسة، فقد أجاد وأفاد في فنون عديدة كالتاريخ والسير والتراجم وأدب الرحلة،

ومن المواضيع المهمّة والشائكة التي كان لها نصيب وافرٌ من دراسات أبو القاسم سعد الله نجد موضوع الشخصيّة الوطنية، والذي رغم تشعّب زوايا النظر إليه ودراسته من طرف الباحثين، غير أنّ سعد الله كانت له نظرةٌ مختلفة عن آراء الباحثين الآخرين، الأمر الذي جعله يخرج بنتائج مهمة مغايرة لسابقيه في هذا الموضوع المهم بالنسبة لدارسي التاريخ الجزائري في شقّه المتعلّق ببيان أسس الشخصية الجزائرية ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي سنحاول من خلالها طرح آراء المؤرّخ سعد الله حول الشخصية الوطنية، فما هي أسس الهوية و الشخصية الوطنية في نظر المؤرّخ أبو القاسم سعد الله؟ وكيف كانت ردود

في الفترة الاستعمارية، ضد محاولات التغريب واختراق هذه الأسس؟ وكيف دافع عن الشخصية الوطنية في فترة ما بعد استقلال الجزائر؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا الخطة الآتية:

المبحث الأول: مفهوم مصطلح الهوية والشخصية

المبحث الثاني: أسس الشخصية الوطنية

المبحث الثالث: آراء المؤرّخ سعد الله حول الشخصية الجزائرية

وفي ختام المقال أوردنا مجموعة من النتائج التي توصّلنا إليها، بعد عرض مواقف وآراء سعد الله حول موضوع الهوية والشخصية الوطنية.

المبحث الأوّل: ماهية الهويّة

الشخصيّة الوطنية في معناها العام هي التعبير عن الهوية الأساسية المشكّلة للفرد الجزائري المتواجد في التراب الجزائري منذ مئات السنين، فلا تداخل ولا تضارب بين المصطلحين، فالتعبير عن الشخصية الوطنية هو ذاته التعبير عن الهوية.

المطلب الأول: تحديد مفهوم الهوية

كان مصطلح الهوية من المفاهيم الشائكة التي وقع حولها الكثير من التجاذبات في ميدان الفكر الإنساني عبر العصور، نظرا لعدم وجود رؤية موحدة وواحدة من طرف المفكرين والمؤرخين الذين اختلفوا في وضع تأصيل مفاهيمي واضح لمصطلح الهوية، وكان مردّ التباين إلى اختلاف المدارس الفكرية والمنطلقات الدينية والتاريخية.

أولا: مفهوم الهوية اللغوي والاصطلاحي

هي منظومة القيم والتشكّلات التي ترتكز عليها الذّات، أي هي الدلائل والعلامات والسمات التي ينفرد بها عما سواه، وفي حالة عدم وجودها تغيب وتتداخل مع الآخر. غير أنّ المعنى متغيّر ممّا يجعل أيّ محاولة لتحديده إمعانًا في بيان إشكالياته[1].

والمعنى اللغوي من الضمير (هو)، والاصطلاح يعني: تكرار الضمير هو، فهو اِسم معرّف يعني تشكيل الهُو، والهوية بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء المفتوحة نسبة مصدرية للفظ (هو)، أما بفتح الهاء فتعني البئر البعيد المهواة، والمكان الذي يسقط فيه الناظرُ الواقف دونه[2].

وهي اسم مُصاغٌ من الضمير المنفصل «هو» لتحديد صفات الأنا مُقابل الآخر "هو"، وبعبارة أخرى هي الكلمة الّتي يمكن الفرد بواسطتها أن يُقدّم نفسه، مقابل الجماعة الّتي ينتمي إليها[3].

عرَّفها سعيد إسماعيل علي بأنها: "مجموعة مكوّنات الشيء التي تجعله هو هو، ولكلّ إنسان شخصيته التي تميّزهُ عن غيره، فله معتقداته وعاداته المجتمعية ومُيوله وثقافته، والأمر نفسه ينطبق على المجتمعات "[4].

وتنقسم الشخصية والهوية إلى:

أ-فردية: وهي التي تعبّر عن الخصائص الجسدية للإنسان من حيث هو فرداً يكوّن المجتمع إلى جانب باقي الأفراد، ولعل أبرز مثال على ذلك بصمات الأصابع، وخصائص الحمض النووي.

ب-هوية وطنية أو قومية: وهي مجموعة الصفات التي تميّز أمة من الأمم، حيث يمكنهم التعرّف على بعضهم بواسطة هذه الميزات، التي يختلفون بها عن غيرهم من أفراد باقي الشعوب[5].

وفي هذا الصدد أورد الأستاذ محمد عمارة: "أنّ هوية الشيء أسسه التي لا تتبدل، وتعرّف ذاتها دون السماح لمخالفها أن يأخذ مكانها، فهي بمثابة البصمة التي تميّز الانسان عن غيره. فهي العلامة التي تعرّفُ الفرد في علاقاته الاجتماعية ضمن الإطار المجتمعي. فبواسطتها يتسنّى للآخرين التعرّف عليه باعتباره مكوّناً أساسيا للمجتمع[6].

ومن الصّعب تصوّر شعب بدون هوية فلكلّ جماعة أو أمة مجموعة من الخصائص والميزات الاجتماعية والمعيشية والنفسية والتاريخية المتشابهة، التي تعبّر عن كيان ينصهر فيه قوم منسجمون ومتشابهون بتأثير هذه الخصائص والميزات التي تجمعُهم[7].

فهي تعني أنّنا أفرادٌ ننتمي إلى مجموعة محلية تمتلك قيم أخلاقية وتاريخية، تجعلنا نُدركُ ماضي الجماعة وتقاليدها وأسلوب عيشها، ومنه الشعور بالانتماء، وهي الأسلوب الذي يمكّننا من البروز في الحياة الجماعية[8].

ثانيا: آراء أُخرى حول الهوية

برزت مجموعة من الآراء التي حاولت تفسير معنى الشخصية والهوية، انطلاقا من اختلاف المدارس الفكرية والتاريخية ومنها:

أنّها نسقٌ من الموروثات الحضارية التي لها صلة مباشرة بالسلوك البشري المتكون من معايير دينية وأخلاقية، وهي جملة ما يرثه المجتمع من تراث ثقافي حيث يساهم في تكوين أُسُسه ومستقبله، فالهوية تتطور وِفق هذا النسق[9].

ورغم الاختلاف بين الباحثين حول تحديد مفهوم الشخصية الوطنية والهوية، إلّا أنّها تُجمع في النهاية على أنّ الهوية ليست شيئاً معنى نهائي ثابت، بل هي عبارة عن مسار تراكمي مرتبط بتاريخ الأمة، يتطوّر من وقت لآخر، وتنصهر مع المفاهيم الأخرى المشابهة[10].

وجاء عن الفيلسوف الفرنسي "بول ريكور"[11] أنّها "تماسكُ ما يحفظه الزمان من التبدّد والتبعثر"، فالوافد إلى إثنية ثقافة تختلف عن إثنيته، يمكنه امتلاك أسس جديدة تزيد وضوح شخصيته وهويته، فيبدو العنصر المكوّن لشخصيته أكثر التصاقا بالمصير المشترك والتاريخ.

المبحث الثاني: مكوّنات الشخصية الوطنية

تتّضح الصورة الكاملة لمكونات الشخصية والهوية ضمن شبكة من العلاقات التي تندرج في خصائص حضارية مشتركة على نحو الذاكرة التاريخية للأمة، الدين والمعتقد، واللغة الأم الحاضنة للموروث الثقافي، ثم الوطن التاريخي.

أولا: اللّغة العربية

هي جملة الدلالات التعبيرية لحالات الشعور والعاطفة لدى الإنسان، وهي وسيلة التواصل والاتصال على المستوى الفردي الضيّق وعلى المستوى والاجتماعي[12].

يعرّفها الأستاذ حسن جبر بقوله: "اللّغة العربية هي أوّل أداةٍ يتفاهم بها الإنسان مع أبناء وطنه وأمته، كما أنّها الوسيلة المضمونة للاطلاع على تراث الأمة، وهي بالنسبة للإنسان العربي اللّغة التي نزل بها القرءان الكريم، والتي تتمّ بألفاظها الشعائر الواجبة على المسلم مثل الصلاة، وبلغت اللغة العربية درجة منم النضج عبر تراكمات السنين الطويلة، حيث بلغ العرب درجة راقية من الفصاحة والبيان مما جعلهم يتميّزون عن باقي الأمم"[13].

ثانيا: المُعتقد والدين

يُعتبر الإسلام بالنسبة للشعوب الإسلامية مكونا أساسيا لهويتها وشخصيتها، فهو مركز الانتماء ومحور الحياة لديها، حيث ينظّم مجالات الحياة، وربطه بالهوية والشخصية لأنّ مجموع العقائد التي يرتكز عليها تجعل الأمة تبدو مختلفة عن باقي الأمم، والإسلام بعقائده وأركانه يمثّل ركيزة الشخصية الإسلامية[14].

وعليه فالعلاقة وثيقة بين الدين والشخصية الوطنية والهوية، فالإسلام مصدر متنوّع لما يحمله من قيم وأحكام، فقد تمكّن من تحقيق التوازن والجمع بين مكوّنات الايمان، الغيب، الشهادة، الدنيا، الآخرة، فالإسلام في كل مجالات الحياة العامة يريد الوصول بالإنسان المسلم إلى تحقيق سعادة الدارين.

ثالثا: التاريخ الواحد

التاريخ أساس متين من أُسس الشخصية والهوية الوطنية، فهو منفذُ الأمم على تضحيات الأباء والأجداد، وهو منطلق فهم وتفسير الواقع، والتاريخ قاسم مشترك لبني الإنسان، ومَنْ لا تاريخ له فهو مبتور الشخصية، واهتمَّ الانسان بتدوين تاريخه وتوثيقه، والتصدّي لمحاولات تزييفه[15].

والتاريخ فاعل مهم من فواعل تكوين شخصية الأمة، حيث استندت في تأسيسها على عدّة أسس من أبرزها: التاريخ المشترك[16].

المبحث الثالث: آراء المؤرخ سعد الله حول الشخصية الوطنية

جاءت آراء سعد الله حول مكوّنات الشخصية والهوية واضحة ودقيقة في غالبها لوضوح المنطلقات والمبادئ التي استند عليها، خصوصا فيما تعلّق بجانب اللّغة العربية والاِنتماء للأمة الإسلامية.

أولا: مكانة اللغة العربية عند المؤرّخ سعد الله

كانت اللغة العربية عند أبي القاسم سعد الل هي قلب الأمة النابض، واستمات في الذود عنها ضد المستعمر، وقد تكلّم سعد الله عدّة لغات، ممّا مكّنه من الاطلّاع على ما كُتِبَ حول تاريخ الجزائر في حِقب زمنية مختلفة، ولم يتردّد في الدفاع عن اللغة العربية، فهي ليست أمرا هيّنا يتلاعب به الكتاب المغرضون، بل هي وعاء حضاري مهم، يغرف منه الفرد ما يشكّل به حاضره ويحافظ كذلك على التراث التاريخي الذي خلّفه الأوائل[17].

ومسألة اللغة لقيت اهتماما كبيرا من طرف المؤرخ سعد الله، ويبرز هذا من خلال منشوراته العديدة[18].

وكثيرا ما أبدى أسفه لواقع اللغة العربية، ويذكرُ معلّقا على أحد المواقف: "...كِدتُ أن أصرخ من الشرفة بأن تسقط فرنسا وحزبها.."[19]،في ردّه على تدخل مسؤول في الدولة باللغة الفرنسية.

وكانت لغة الملتقى الأول للبحث العلمي في الجزائر سنة 1982م، هي الفرنسية حيث علّق سعد الله على ذلك بقوله:" ...لقد أحسست بما أحسّ به المتنبّي في شعب بوّان (غريب الوجه واليد واللسان)، سبحان الله أَبَعْدَ 20سنة من طرد فرنسا نسيّرُ ملتقياتنا العلمية بلغة المستعمر[20]،

وحسب سعد الله فقد التقى حول اللغة العربية سببان للهدم هما: اهمال الشعب لها، وتمادي النخبة المثقفة في تحييدها، فدعا إلى معالجة هذا الواقع عن طريق بذل الجهد في إحياء الموروث اللغوي؛ والاهتمام بالتاريخ الذي حاولت المدرسة التغريبية التحكّم؛ وبسبب دفاعه عن اللغة العربية وقعت له مشاكل مع عميد كلية الآداب سنة (1969)؛ وبيّن مخاطر طغيان النزعة الثقافية المستندة إلى النخبة المتأثّرة بالغرب المتربّصة باللغة العربية، رغم أنه لا يناوئُ الثقافة الأمازيغية التي حاول البعض فرضها كبديل في تلك الفترة[21].

وفي هذا الصدد سرد سعد الله واقعة أثناء رحلة علمية، وعبّر عن امتعاضه الكبير لما آلت له اللغة العربية، فعند مغادرته للملكة العربية السعودية عقب انتهاء المؤتمر العلمي: "أثناء مروري بشرطة الجوازات بحث الشرطي عن الحرف العربي في جواز سفري فلم يجده، فرفع بصره إليّ وقال بأدبٍ جمّ: يا أخي متى تعرّبون جواز سفركم؟ ألم تنالوا استقلالكم؟ وقد وقع في نفسي كلامه، فالاستعمار خرج من بلادي منذ خمسة عشر سنة، ونحن نسوّقُ لثورة التعريب، ورغم هذا يسافر الجزائري بجواز سفر مكتوب بحروف غير عربية [22].

ثانيا: موقف سعد الله من التعدّد اللغوي في الجزائر عقب الاستقلال

بعد الاستقلال برز موقع اللغة العربية كلغة أم للمجتمع الجزائري، غير أنّ لغة المستعمر والأمازيغية ظلّتا تحتفظان بنفس المكانة، فإذا كانت الأولى لغة النُّخب المثقفة فإنّ الثانية اكتسبت أهميتها من انتشارها البطيء تحت ظروف خاصة، واعتبر سعد الله أنّ أي شيء خارج إطار المدّ العربي ومواجهة الاستعمار هو نوع من الإرباك على مشروع التعريب،

وعدّ ذلك من صميم الأفكار ذات البعد الاستعاري، واشتهر سعد الله بموقفه المعاكسة للأمازيغية، فهو في نظر الكثيرين متعصّب للمبادئ العربية، وصُنّف من المناوئين للمشروع الوطني وفق النظرة الغربية الوطنية.[23]

وأراد سعد الله بناءَ مجتمع موحّد اللّغة ضمن الإطار العربي، ويتجلّى ذلك في قوله: "...إذا كان شعب بلاد ما يتحدّث أكثر من لغة وطنية ورسمية فهذا لم يعد شعبا واحدا، وتملك الجزائر عدّة لهجات، أمّا اللغة الوطنية والرسمية فواحدة وهي لغة القرءان[24].

والجدير ذكره أنّ سعد الله غيّر موقفه من مسألة تعدّد اللهجات واللغات في الجزائر، وهذا بعد تواصل مباشر مع بعض شيوخ زواوة، حيث اطّلع على التراث الأمازيغي الذي تربطه علاقة بالإرث الثقافي الإسلامي، واتّضح له:" أنّ العربية والأمازيغية سارتا في نفس الطريق، فهل يعود ذلك إلى وحدة الأصول؟ أم إلى وحدة الهدف والغاية، وبالتالي الحفاظ على وحدة الشعب الجزائري[25].

ثالثا: نظرةُ المؤرّخ سعد الله لمسألة الوعي بالتاريخ

يعدّ الوعي بالتاريخ ركيزة مهمة جدا في نطاق تشكيل الشخصية الوطنية، فالأمة التي لا تعي تاريخها لا يمكن أن تتطلع إلى مستقبلها، بل يعتبر عدم الوعي من الأمراض الخطيرة التي تنخر الهوية في كل مستوياتها.

فهم التاريخ هو الشعور العميق بدور الخبرة التاريخية الذاتية في تشكيل الوعي بسنن الحياة العامة، وما يهيّئه ذلك لحركة البناء والنهضة من شروط أساسية وبالتالي الحفاظ على أصالة ونقاوة الموروث الثقافي والحضاري للأمة[26].

وتصدّى سعد الله لهذه المسألة الهامة عن طريق نهجه العلمي الحديث، وطريقة كتابة التاريخ الدقيق المتفحّص المبني على الاستنباط والتحليل، وقد نجح في بناء مدرسة تاريخية رائدة وساهم تشكيل تيار وطني أراد من خلاله التحلّل من مخلّفات الاستعمار الثقافية وبيان موقع الجزائر الثقافي الحقيقي[27].

ومن أبرز أعماله التي ساهمت في التأسيس لوعي تاريخي حقيقي، هو بيان حقيقة الثقافة الجزائرية العريقة والأصيلة، فقام بربط الجزائر بمجالها العربي الإسلامي، وصدّ تيارات التغريب، وتجلّى ذلك فيما جاء في ثنايا كتابه تاريخ الجزائر الثقافي[28].

وكثيرا ما أظهر أسفه الشديد من ردّ فعل الطبقة المثقّفة في الجزائر، التي همّشت التاريخ بكلّ أبعاده، فاتّضح وجود هوة بين الثقافة الوافدة الدخيلة والثقافة الأصلية للمجتمع، وحاول سعد الله جاهدا تغيير الحال والانتصار للثقافة الأصيلة في هذا الوسط، كما سجل ضعف مستوى الوعي الثقافي والاستفادة من التاريخ عند أغلب الجزائريين، حيث زاد من هذه الضعف هشاشة الأوضاع الثقافية وطبيعة المرحلة التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة[29].

وحَسَبَ سعد الله أنّ مسألة الوعي بالتاريخ، إضافة إلى كونها مسألة تدخل ضمن صميم الهوية التي يجب أن يعيها الفرد المثقف، فإنّها مسألة تستوجب وجود أساليب وأُطُر بإمكانها إنتاج طبقة لها الدراية بالإشكالات التاريخية للأمة الجزائرية، تساهم في كشف الغبار عن المحطات المهمة في مسار تقدم الأمة، ولزيادة نسبة الوعي بالتاريخ، والوصول للحفاظ وصيانة أُسُس الشخصية الوطنية[30].

وبمجرّد تحقّق الوعيُ بالتاريخ يسهل الحصول على هوية وشخصية ذات أبعاد وطنية، تحمي الموروث ومرتكزاته الأخلاقية والثقافية، وعليه يعدّ حجر الزاوية في تشكيل الأمة الواعية[31].

وعبر التاريخ تعاقبت حضارات على بالجزائر مُحاولةً زرع عاداتها ومقوماتها، وذلك باستخدام كلّ الأساليب لطمسِ هوية الشعب الجزائري ، وتزييف مكوناته التاريخية، لكن بروز الوعي بالتاريخ الوطني في أوساط المجتمع الجزائري منذ إعادة بعث الدولة الجزائرية المعاصرة زمن الأمير عبد القادر الجزائري، وقيام الشعب الجزائري بالثورة ضدّ المحتل الفرنسي الغاشم، أدّى إلى الحاظ على الهوية والشخصية الوطنية[32].

فعامل الوعي بالتاريخ أسهم في بروز نخبة من الرجال المفكرين خاضوا حربا ضروسا ضد التيارات المضلّلة التغريبية بواسطة رواد الصحافة، وكتابة الكتب المتخصصة، لإبراز عمق التاريخ العربي الإسلامي للبلاد الجزائرية، وقد حقّقت هذه النخب وعلى رأسها المؤرخ سعد الله عدة مكاسب منها: تحضير وإعداد فئة من الشباب واعية بتاريخها العربي الإسلامي، الذي حاول المستعمر الفرنسي طمسه وتزييفه في أسوأ الحالات، ثم التأسيس لجيل متحصّن بالثقافة العربية الإسلامية تواصل حمل مشعل الدفاع عن مقوّمات الشخصية الوطنية الجزائرية[33].

فالوعي بالتاريخ إذاً هو ركيزة أساسية من ركائز هوية وشخصية الأمة والمجتمع الجزائري، وعنصر لابد منه في عملية تشكيل صورة الشعب والمجتمع انطلاقا من استنطاق الموروث التاريخي والحضاري الضارب في أعماق الزمن، ومنه ينشأ الاعتزاز بصنائع الأبطال والافتخار ببطولات الرجال والأجداد.

الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث خلُصنا إلى النتائج الآتية

-أنّ مفهوم الهوية يعدّ واحداً من أكثر المفاهيم المطروحة جدلاً وإثارة للنقاش نظير ما يحتويه من دلالات فكرية وسياسية، واجتماعية، تمس عمق المجتمع وجوهره.

-وعند البحث في أغلب المعاجم العربية القديمة لم نجد تعريفاً للهُوية، لأنّ كلمة الهوية هي "مصطلح حديث منسوبة الى "هو" تحديداً، وهي تعني إدراك تميز هو عن الآخر، وكلمة: "هو" في هذا السياق ليست (هو) ضمير الغائب المعروف باللسان العربي الدال على الحقيقة المشخصة (شخص) هي كلمة دالة على التمايز أو السمات في أمة دون غيرها من الأمم.

-رغم اختلاف مفهوم الهوية عند المفكرين والمؤرخين والعلماء على اختلاف المدارس والمشارب الفكرية، إلّا أنه يمكننا الاتفاق على عناصر مهمة لا يمكن أن تغيب حين

حديثنا عن الهوية والشخصية الوطنية إذ ترتكز الهوية الوطنية على عدّة ركائز أهمها: اللّغة العربية والمعتقد الديني(الإسلام) والتاريخ المشترك.

-يرى الدكتور سعد الله أنه لا توجد في الجزائر أمة قائمة بذاتها ذات هوية خاصة محدّدة، كالأمة الألمانية أو الأمة الفرنسية، وإنما هي جزءٌ من الأمة العربية ومن أمة أعظم هي الأمة الإسلامية، تربطها بهما روابط ثقافية متينة، أهمها العقيدة، واللغة، والنظم الاجتماعية، وقد كانت الجزائر كذلك على الدوام إلى أن اِستولت عليها فرنسا، فراحت تحاول أن تصطنع لها هويةً مزعومة خاصة جوهرُها العاداتُ والتقاليد الاجتماعية المحلّية والفرنسية، تكرّست للأسف إلى حدّ ما بعد الاستقلال.

-الرباط الوثيق بين الجزائريين عند سعد الله هو الدين واللغة، والذي يجمعهم كذلك بسائر الأمة العربية والإسلامية، أمّا مصطلح الجزأرة عند الدكتور سعد الله فيعني نفيُ القوالب التي يحاول البعض حصرَ الجزائر داخلها، مثل "الوطنية" الضيقة، و"الثقافات المحلية والشعبية" و"الهوية الإفريقية"، وربط الجزائر بمحيطها الطبيعي والتاريخي العربي الإسلامي، والجزأرة تستوجب إعادة النظر في الشعارات التي رفعها المجاهدون وقضوا دونها طيلة الفترة الاستدمارية.

-يعدّ المؤرّخ سعد الله من أوائل المدافعين عن الهوية ومقومات الشخصية الوطنية في إطارها الأصيل العربي الإسلامي، لاعتقاده بأنّ سيادة الجزائر ونهضتَها لا تتحقّق ولا تكتمل إلّا بإعادة إدماجها في محيطها الطبيعي العربي الإسلامي، لأنها مهما حاولت أن تطير بأجنحة غيرها لن تستطيع، بل ستهوي من علٍ، ولن يمكنها النهوض مجدّداً.

-تغير نظرة سعد الله إلى مسألة الموروث الأمازيغي فقد كان يرى أنّ الشخصية الجزائرية تشكّلت نتيجة الفتح الإسلامي، وما كان قبل ذلك فهو جاهلية يجب تجاوزها، لذا أدرج التراث الأمازيغي في بداية مشواره ضمن المعوّقات المعرقلة للوحدة الوطنية والعربية، وأظهر موقفه الرافض للأمازيغية في عديد الكتابات، ثم أصبحت نظرة سعد الله مغايرة بعد أن

تواصل مع الثقافة الأمازيغية والتحادث مع علمائها والاطلاع على التراث الأمازيغي، وتجلّى هذا التغيّر في مقاله المعنون ب: هيئة مغاربية للغة البربرية، سنة 1994م ،والذي دعا فيه الحكومات المغاربية للتكفّل بالقضية الأمازيغية.

-تأثّر عامل الوعي بالتاريخ عند اِنعدام الشعور الفردي بالهوية الوطنية، نتيجة عوامل داخلية وخارجية، ولّد أزمة الهوية والتي أفرزت بدورها أزمة انعدام الوعي بالتاريخ المشترك، ومنه ضياع الهوية، ومنه يبرز مدى الترابط بين مكونات الهوية وركائزها.

- تتقاطع في الهويةَ مكوّنات كثيرة مكتسبة بالمعنى الأنثروبولوجي، منها التاريخيُّ والديني واللغوي والجغرافي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي، أي كل ذلك الذي يحفظه الزمان من التبدّد والتبعثر، ولا تنفك هذه المقولة تتطور باستمرار وتتأثر بغيرها من الهويات الثقافية التي تحتك بها وتفاعل معها.

الهوامش

---

[1] - ينظر: أحمد القاسمي: العرب والتباس مفهوم الهوية وإشكالاتها. سؤال ما بعد الثورات. **عربي21**، 13 أكتوبر 2022م.

[2]- لسان العرب مادّة هوا. 371/15

[3]- عبد الله الشامي رشاد، **إشكالية اليهودية في إسرائيل**: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب، الكويت، 1997، ص5

[4]- انظر: التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، سعيد إسماعيل، ص 95.

[5]- انظر: نورالدين بن نعيجة: الهوية الوطنية بين الموروث التاريخي وتحديات العولمة و الرقمنة، على الموقع: http://www.crsic.dz/index.php?option=com_content&view=article&id=230&catid=108&Itemid=1085&lang=ar ،تاريخ الاطّلاع: 2021/12/17 الساعة: 19:53.

[6] - محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص6.

[7] - محمد عمر أحمد أبو عنزة: واقع إشكالية الهوية العربية، بين الأطروحات القومية والإسلامية، جامعة الشرق الأوسط، 2011، ص36.

[8] - حمد حسن المحروقي: دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة على الهوية الثقافية، ص 16.

[9] - محمد عابد الجابري: نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط6 1993، ص 22.

[10] – محمد عمر أحمد أبو عنزة: مرجع سابق، ص 42.

[11] – بول ريكور (1913–2005)، فيلسوف فرنسي بارز في القرن العشرين، تُرجمت ونوقشت أعماله على نطاق واسع عبر العالم. علاوة على عمله الأكاديمي، كتب جملةً من الموضوعات خلال مسيرته المهنية الطويلة، وبالإضافة إلى كتبه العديدة نشر أكثر من 500 مقال.

[12] – العزاوي أبو بكر: اللغة والحجاج، دار افريقيا للنشر، المغرب، (د،س،ن) ، ط 1، ص 43.

[13] – انظر: كتاب " أسس الحضارة الإسلامية" دار الكتب الحديثة، الكويت، ط 2، 1999م، ص 68.

[14] – انظر تجديد الوعي: عبد الكريم بكار، ص ص 69– 70 ، على الموقع : http://www.drbakkar.com/2018/02/19/ تاريخ الاطلاع 2021/12/17م، الساعة: 17:40

[15] – انظر: راغب السرجاني: "التاريخ المشترك .. بين الوفاق والشّقاق" على الموقع : https://www.islamstory.com/ar/artical/3408330 ، تاريخ الاطلاع 2021/12/17 الساعة 18:03.

[16] – عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهوديَّة والصهيونيَّة، ج2، ص82.

[17] – وزناجي مراد: حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، الحبر، الجزائر، ط3، 2014م، ص 182.

[18] – مثل مقالات: أخبار الحاج ديكارت، عودة إلى مجمّع الخالدين، القضية المريضة.

[19] – أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، عالم المعرفة، الجزائر، ج1، 2011م، ص 184.

[20] – المرجع نفسه، ص 30.

[21] – بشير بلاح " مختارات" مجلة عنود على الموقع: https://www.oudnad.net/spip.php?article991 تاريخ الاطلاع: 2021/12/17 الساعة 15:45.

[22] – أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، (د، ط) ، ص 255.

[23] – أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة: عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص 11.

[24] – أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، المرجع السابق، ج7، 2011م، ص ص 24–25

[25] – أبو القاسم سعد الله: في الجدل الثقافي: عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص 146.

[26] – الطيّب برغوث، مقدمة في الأزمة الحضارية والثقافية السّننيّة ، دار قرطبة، الجزائر،2004م، ص 144

[27] – بشير ملاح : المرجع السابق.

[28] – نفسه .

[29] – أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، عالم المعرفة، الجزائر، ج3، 2011م، ص 278.

[30] –نفسه: ص 88.

[31] – انظر: نورالدين بن نعيجة: الهوية الوطنية بين الموروث التاريخي وتحديات العولمة والرقمنة، على الموقع: http://www.crsic.dz/index.php?option=com_content&view=article&id=230&catid=108&Itemid=1085&lang=ar تاريخ الاطلاع: 2021/12/17 الساعة: 19:08

[32] – بودبزة ناصر: مقومات الشخصية و تشكل الهوية الوطنية الجزائرية من خلال مكتسبات التلاميذ، مجلة العلوم الانسانية، جامعة ورقلة، ع ، خ ، الملقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ص73.

[33] – تركي رابح: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2004،ص ص70-71 .